﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: 4]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

من كمال الصّفات إلى جلال الصُّنع: تجلّيات الخالق في الخلق والتّدبير والاستواء

لَمّا أخبر الحقّ ﷻ عن كمال أسمائه وصفاته بقوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد: 3]، وكان من مقتضى هذا الكمالِ أن يكون خالقًا عليمًا، بديعَ الصّنعة، محيطًا بالخلق ظاهرًا وباطنًا، علِمَ بما أبدع، وأحاط بما صنع؛ أتبعَ ذلك ببيان أعظم مظاهرِ فِعْلِه وآيات قدرته، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾، فدلّ بذلك على أنّ مَن له الكمال المطلقُ في الصّفات؛ له الإنشاء الكامل في المخلوقات، وأنّ العلوّ والاستواء بعد الخلق من تمام المُلك، وأنّ التّأنّي في الخلق كان لحكمة التّدبير، لا عن عجز ولا عن فتور، بل تقرير لأيام الدّنيا المعهودة، وسابعها الجمعة الذي خلق فيه الإنسان[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾: فعل دالٌّ على المُضيِّ، من الجذر اللّغويّ (سوي) الذي يدلّ على استقامة واعتدال بين شيئين، سواءٌ أكان ذلك باعتبار إسناده إلى شيئين فأكثر[2]، أم باعتبار اعتدال الشّيء في ذاته[3]، والاسم منه: السّواء. ولهذا الفعل معانٍ متعدّدةٌ، ويستعمل لازمًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 257.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(3) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 2/ 241.

ومتعديًا بالحرف، فمن الأوّل قولهم: استوى الرّجلُ؛ إذا انتهى شبابه[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [القصص: 14]، ومن الثّاني قولهم: استوى على الشّيء؛ إذا علا عليهِ وارتفع[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: 5]، ومعناهُ في حقِّ الله تعالى معروفٌ؛ وهو العلوُّ والارتفاعُ والصُّعود[3]، وحقيقةُ ذلك وكيفيَّتُهُ مجهولةٌ لنا، كما قال الإمام مالك ﷺ عندما سئل عن كيفيَّةِ الاستواء؟ فأجاب: (الكَيْفُ مِنْهُ غَيْرُ مَعْقولٍ، والاِسْتِواءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهولٍ، والإيمانُ بِهِ واجِبٌ، والسُّؤالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ)[4].

2) ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾: جذره اللّغويّ (عرش)، وأصله دالٌّ على الارتفاع في الشّيء المبنيِّ، ثمّ يُستعار في غير ذلك[5]، ويُجمعُ لفظ (عرش) على عُروش، ويطلق في العربيَّة على سرير الملك؛ لأنّه يصنع منبسطًا ويرتفع عن الأرض، وكلّ بناء مرتفع يُستظلّ به يطلق عليه العرش، ويُستعمَلُ أيضًا كنايةً عن العزّ والسّلطان، يقال: ثُلَّ عَرْشُه؛ أي: زال ملكه، وعرش الرّجل: قوام أمره[6]. والمرادُ بالعرشِ الإلهيِّ: "هو ذلك السَّقْفُ المحيط بالمخلوقات، ولا نعلَمُ مادَّة هذا العرش؛ لأنَّه لم يَرِدْ عن النَّبيِّ ﷺ حديثٌ صحيحٌ يُبَيِّن مِن أينَ خُلِقَ هذا العرش، لكنَّنا نعلم أنَّه أكبَرُ المخلوقاتِ التي نعرِفُها"[7].

3) ﴿يَلِجُ﴾: فعل مضارع من الولوج بمعنى الدّخول، ومنه: الوليجة؛ أي: البطانة والحشوة؛ لأنّها قريبة من معنى الدّخول[8]، ومنه: الوجع الذي يدخل جوفَ الإنسان، يسمّى: ولِجَة، والوالِجَة هي "السّباع والحيّات، سمّيت والِجَة؛ لاسْتِتارِها بالنّهار في الأولاجِ، وهو ما ولَجَتْ فيه من شِعْبٍ أو كهف"[9]. والمعنى المحوريّ للَّفظة وما اشتُقَّ منها يدلُّ على الدّخول في فجوةٍ كثيفة غليظةٍ تُخْفي الدّاخلَ وتحيطُه وتَسْتُرُه، كالكهف والغامض

(1) الجوهري، الصحاح: (سوا)، والزبيدي، تاج العروس: (سوو).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (سوي).
(3) ابن القيم، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص: 87.
(4) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء: 6/ 325، ويُنظر: عبد الرزاق العباد، الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء: دراسة تحليلية، ص: 38 - 51.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرش).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عرش).
(7) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية: 1/ 374.
(8) ابن دريد، جمهرة اللغة: (جلو)، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة: (ولج).
(9) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (ولج).

من الأرض، وعامّةُ فعلِ الولوج في الكتاب الحكيم واردٌ بمعنى الدّخول[1]. ومعنى ﴿يَلِجُ﴾ في الآية الكريمة: "ما يدخُلُ في الأرض من الأمطارِ والكنوز والأمواتِ"[2].

4) ﴿يَخْرُجُ﴾: فعل مضارِعٌ دالّ على الحال والاستقبال، وجذره اللّغويّ (خرج)، ومنه: الخروج؛ وهو نقيضُ الدّخول، ولهذا الجذر أصل يدلّ على النّفاذ عن الشّيء[3]، والظّهور والبروز؛ لذلك يُقال لكلّ مَن برز مِن مكان قراره، أو وضعه إن كان ذلك المقرّ بيتًا أو موطنًا أو لباسًا، أو غير ذلك، ويكون كثيرًا شائعًا في الأعيان[4]. ومعنى ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾؛ أي: من الزّروع والنّبات ونحوه[5].

5) ﴿يَعْرُجُ﴾: مصدر: عرجَ؛ وهو الصّعود والارتفاع، والمعراج: آلة العروج، كالمصعد والمرقى التي يُصْعَد بها من أسفل إلى أعلى، فهو بمنزلة السُّلَّم أو الدّرج، من غير معرفة كيفيَّته، يُقال: عرج إلى السَّطح وإلى السَّماء يعرج عروجًا ومعرجًا؛ أيْ: صعدَ[6].والمقصود من الفعل ﴿يَعْرُجُ﴾ في الآية "وما يصعد إليها من الملائكة، وطاعاتِ العباد، ودعوات الخلق، وصحف المكلّفين، وأرواح المؤمنين"[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عظمةُ الأوصاف الإلـهـيَّـةِ في الخَلْقِ والعِلْمِ وغيرها

اللّه سبحانه الذي أبدع السّماوات والأرض في ستة أيّام، لا عن عجز ولا على مهل، بل لو شاء؛ لقال لها: كوني، فكانت في لمحة طَرْفٍ، ولكنّها ستّة أقامَها أصلًا، وجعلها ميزانًا للتّقدير؛ ليُدار عليها نظام

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ولج).
(2) الفيروزآبادي، تنوير المقباس، ص: 456.
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خرج).
(4) الراغب، المفردات، والسمين الحلبيّ، عمدة الحفاظ: (خرج).
(5) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 10/ 3161.
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم، والزبيدي، تاج العروس: (عرج).
(7) القشيري، لطائف الإشارات: 3/ 533.

الزّمان، وتُضبط بها مقادير الأكوان، ثمّ علا على العرش علوًّا يليقُ بجلالهِ وعظَمَته. يعلم ما يَدْخُلُ في الأرض من ماءٍ وبذر، وما يخرج منها من نباتٍ وشجَرٍ، وما ينزل من السّماء من ملائكةٍ ووَحْيٍ ومطر، وما يعرج فيها من أعمال العباد ودعوات البشَر. وهو مَع عباده حيث كانوا، لا تحجبه المسافات، ولا تَخْفى عليه الخطَرات، وهو البصيرُ بأعمالِهم، لا يغيبُ عنه شيءٌ منها، يُحصيها عليهم، ويُجازيهِم بها على حسَب أعمالِهم عدلًا أو فضلًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقع قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ممّا قبلهُ ودلالته:

بيانُ الأدلَّةِ الدّالَّة على عِلْمِ اللهِ تَعالى وقُدْرَته

الجملةُ في قولِ الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ إمّا أن تَكون واقعةً موقع كمال الاتّصال من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3] وهو رابط واضح جليّ، فمرادُ الجملة السّابقة الإشارةُ إلى علمه تعالى بجميع الموجودات، وإحاطته وقدرته؛ إذ تكفّلت الجملة السّابقة بالإشارة إلى ذلك، وحيث إنّ الخالقَ لا يكون إلّا عالمًا بخَلْقِهِ؛ دُلَّ على علمه ذاك وقدرته تلك بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[2]. وإمّا أن تكون الجملة الاسميّة واردةً على سبيل الاستئنافِ المَسوق للاستدلالِ على تفرّده ﷻ بالألوهيّة، داحضًا لشبهة الشّرك، وناهضًا بالحجّة على وجوبِ توحيدِهِ؛ إذْ لا خالقَ سِواه، ولا مدبّر غيره[3].

بلاغة التّعبير بأُسْلوبِ القَصْرِ في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾:

تفرّد الخلّاق بإيجاد الخلق على تمام الإتقان والإحكام

في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أسلوبُ قَصْرٍ، طريقُه: تعريف جزأي الإسناد لإفادة الحصر والاختصاص والتّوكيد[4]، فقولُهُ:

(1) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 433.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 257.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 363.
(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الزّري: 11/ 328.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ أي: هو وحده الخالِقُ[1] دون سواه، المتفرّد بالإيجاد والإبداع. وفي ذلك إيذانٌ بأنّ الخَلْقَ - بمعنى الإيجادِ مِنَ العَدَمِ - فعلٌ إلهيّ خالِصٌ لا يشاركه فيه أحدٌ علمًا وقدرةً وتقديرًا.

الغرض من التّعبير بالاسم الموصول، وإيراد صلتِه جملةً فعليّة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾:

خلقُ السّماواتِ والأرض شاهدٌ على عظمة الرَّبِّ القدير

عُبِّر بالموصول ﴿ٱلَّذِى﴾؛ لما فيه من دلالةٍ على التّفخيم والتّعظيم[2]، ولمّا كان الموصول واردًا على الخبريَّة من الضّمير[3] العائد عليه سبحانه؛ أفاد مع صِلَتِه تذكيرًا بعظيم صفة الخلق، الذي شَمِل السّماواتِ والأرضَ وما فيهنّ من جواهرَ وأعراضٍ، وكان ذلك أوجزَ لَفْظٍ يُحْيي في النّفوس استحضارَ عظمة قدرة الله تعالى[4].

كما أنَّ التّعبير بجملةِ الصِّلةِ جملةً فعليَّة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ جَمْعٌ بين دلالةِ الاسم الأحسنِ وإشعارِ الصّلة بعلّة الخبر، فكان خلق السّماوات والأرض برهانًا ساطعًا على تفرّده سبحانه بالرّبوبيّة، وكفيلًا بإثبات الألوهيّة، فكأنّما جُعلت عظمة الخَلْقِ دليلًا ناطقًا على وحدانيّة الخالقِ[5].

دلالة التّعبير بالفِعْلِ ﴿خَلَقَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

خَلَقَ الله تعالى السَّماواتِ والأرضَ بإحكامٍ ونظامٍ

عُبِّر بلفظ الخَلْقِ دون سواه في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ لما يحمله هذا اللّفظ من سرّ التّقدير المحكم، فيشير إلى تقريرِ حالِهما وثباتهما على ما هيَّأه العليمُ القدير[6]. وصيغة الماضي تُنبئ عن حصولِ الأمر واستقراره، كأنّما السّماوات

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 257.
(2) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّري: 11/ 328.
(3) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 452.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 126.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/ 161.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 255.

والأرض قد اسْتَوَتْ على نظامٍ لا يتبدَّل، ووضعٍ لا يتحوّل، فلفظ (الخلق) فيه من البلاغة ما يُجَلّي عظمةَ الإيجاد من العدم، ويُظهر بديع التّقدير والتّسوية، فسبحان من هذا فعله، وعزّ من هذا صنعه[1].

سرّ تخصيص خَلْقِ السّماوات والأرض دون غيرهما من المخلوقات:

في بيان خَلْقِهما دون غَيْرِهما ذِكْرٌ للأصلِ بِما يُغْني عن الفَضْل

ذِكْرُ خَلْقِ السّماوات والأرض دون غيرهما من المخلوقات؛ لا يُراد به الحصر أو التّخصيص، بل إنّ هذا الذّكر يتضمّن بطريق اللّزوم والاقتضاء ما بينَهُما مِن الخلق؛ لأنّ مَن خلَقَ العلوَّ والسّفل؛ فقد أحاط علمًا وخلقًا بما حوى بينهما، فكان ذِكْرُ السّماوات والأرض مدارًا جامعًا، تتفرعّ عنه سائر الخلائق دلالةً لا تصريحًا، وإجمالًا لا إهمالًا.

سِرُّ جَمْعِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وإفرادِ (الأرضِ):

تَصَرُّفُ النَّظْمِ القُرْآنِيِّ في الألْفاظِ جَمْعًا وإفْرادًا بِما يُحَقِّقُ جَزالَتَهُ وانْسيابَهُ

اسْتُعْمِلَ لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إيذانًا بتعدّدها وتنوّع مراتبها، موافقًا لما استقرّ في أذهان العرب من العلم بتعدّدها[2]، فكان التّعبير بالجمع أبلغَ في تصوير عظمة الخلق، واتّساع ملكوت اللّه تعالى، ودقّة صَنْعِه.

ولم تُجْمَع (الأرضُ) كما جُمِعَت ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، بَل لَمْ تَرِدْ لفظَةُ (الأرْض) مجموعَةً في القرآنِ الكريمِ مُطْلقًا، فالسَّماءُ إذا ذُكِرَت مجموعَةً جيءَ بلفظِ الأرض مُفْرَدًا في جميعِ مواضِعِها، وعُدِلَ عن الجَمْعِ لِثِقَلِه، والجُسْأةُ التي تعرِضُ للَّفْظِ حتَّى إنَّ النَّظْمَ لَيَخْتَلُّ بسببِ ذلك[3].

مَعْنى (أَلْ) في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾:

(أَلْ) في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ

(1) القنوجي، فتح البيان: 4/ 373.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 257.
(3) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 160.

الإيماءُ إلى عُمومِ أرجاءِ السَّماواتِ وجميعِ بِقاعِ الأرْضِ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ لامُ الجِنسِ المفيدَةُ عمومَ البقاعِ المندرجةِ في لَفْظِها، وهيَ شامِلَةٌ لكلِّ ما يقَعُ عليهِ هَذا اللَّفْظُ، فيدخُلُ في لفظِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جميعُ أرجائِها وأنْحائِها، ويَدْخُل في (الأرْض) الأرضونَ السَّبْعُ كُلُّها.

دلالة تَقْديم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على (الأرضِ):

تَفَنُّنُ البَيانِ القُرْآنيِّ في الألْفاظِ تَقْديمًا وتَأْخيرًا

قُدِّمَ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على خلق (الأرض) في هذا المقام لكونِهِ واردًا على سُموّ المعنى ورفعة المقام؛ إذ جاء التّقديم ترقّيًا في المدح[1]، وانتقالًا من الأدنى إلى الأعلى، ومِنَ المألوف إلى الأجلّ الأسمى، فيشهد كمال الصّانع، وعظمة المبدع سبحانه.

دلالة التّعبير بالظّرفية في قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾:

استيعابُ الخلقِ الأيّامَ السّتَّة

من المعاني المشتهرة لحرفِ الجرّ ﴿فِي﴾ دلالتُه على الوعاء والظّرفيَّة[2]، وهو لا يُشير فقط إلى مدّة الخلق، بل يتَضمّن معنى التّمكّن والاستيعاب الزّمانيّ، فكأنّ عمليَّة الخلق العظيمة هذه؛ قد استغرقت هذه الأيّام السّتَّة بتمامها، واحتوتها بكلّ تفاصيلها ومراحلها.

سرّ التّعبير بالعدد ﴿سِتَّةِ﴾ في قوله: ﴿سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾:

الآياتُ الكونيَّةُ شاهدةٌ على كمالِ صِفَتي العلمِ والحكمةِ

التّعبير بالمدّة في قوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ بيان لإحكام الخلق، وإتقان الصّنعة؛ إذ جرى العرفُ في خطاب النّاس أنّ نَسبَ الشّيء إلى زمنٍ ممتدّ دليلٌ على التّدبير المُحْكَم، والصّنع المتقن[3]، لا على العجز أو الإبطاء، فكان في ذِكْرِ الأيّام السّتَّة إيحاءٌ بعَظَمَةِ الخلق وروعة التّقدير، لا بمجرَّدِ انقضاءِ الزَّمن، كما أنَّ لتخصيص خلقِ السَّماواتِ والأرضِ بستَّة أيام دون سواه حكمةً إلهيَّة نقرُّ بها، وإنْ خفيَ سرّها، كسائر التّقديرات الرّبّانيّة؛ من تسعة عشر خازنًا للنّار، وثمانيةٍ مِن

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 279.
(2) الزجاجي، حروف المعاني والصفات، ص: 12.
(3) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 6/ 365.

حملة العرش، واثني عشر شهرًا، وسبعِ سماوات، وخمسِ صلوات، فكلّ تقدير له حكمةٌ، وكلّ عدد له حجّة، والإيمانُ إقرارٌ بأنّ تقدير الحكيم صواب لا يسأل عنه[1]. كما يتجلّى في هذا التّعبير إرادةُ الحكيم الخبير أن يكون خلق السّماوات والأرض مدرّجًا لا دفعة واحدة؛ لتحقيق غاية التّكامل الكونيّ بعظيم قدرته، ودقيق حكمته، فكانت ستَّة الأيّام أتمّ زمن يحصل به المراد، ويظهر به كمال الصّنعة الإلهيّة، فيجتمع بذلك مظهر القدرة الباهرة مع الحكمة البالغة، فتكون الآية الكونيّة شاهدةً على كمال الصّفتين، وهما علمُ اللّهِ المحيطُ، وقدرتُه النّافذةُ[2].

سرّ التّعبير بالأيّام دون اللّيالي:

ذكر الأيّام تعبير عن الحكمة الإلهيَّةِ قبل وجود اللّيل والنّهار

سرّ التّعبير القرآنيّ بـ (الأيام) دون اللّيالي في قوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يكمن في الدّلالة على مقدار الزّمن المجرّد؛ إذ لم يكن ثَمَّ نهار ولا ليلٌ عند بدء الخليقة[3]، فكان التّعبير بالأيّام إشارةً إلى المدّة الزّمنية المحضة، لا إلى تعاقب الأوقات المعهود، إيحاءً بحكمة التّقدير الزّمنيّ قبل وجود نظام اللّيل والنّهار.

معنى - ﴿ثُمَّ﴾ ودلالتها:

حرف التَّرتيبِ يُفيدُ أنَّ استواءَ اللّه تعالى على عرشِهِ مِنَ الأوصافِ الفعليّةِ

﴿ثُمَّ﴾ حرفُ عطفٍ دالٌّ على التّراخي في لسان العرب[4]، والتّعبير بها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يدلُّ على أنَّ استواءَ اللّه تعالى على العرشِ كان بعد خلقِهِ السَّماواتِ والأرضَ، فالحقُّ أن يُقال: "كانَ اللّهُ ولَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، ثُمَّ خلق السَّماوات والأرْضَ في سِتَّةِ أيّام، وكانَ عَرْشُهُ عَلى الماءِ، ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ، و﴿ثُمَّ﴾ هُنا لِلتَّرْتيبِ الزَّمانيِّ لا لمجرَّد العَطْفِ"[5].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 288.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/ 161.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 288.
(4) المرادي، الجنى الداني، ص: 430.
(5) هرّاس، شرح العقيدة الواسطية، ص: 142، ويُنظر: ابن عثيمين، أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها، ص: 16 - 17.

سرّ التّعبير بقوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ مادَّة وصيغة:

استواءٌ يدلّ عَلى علوِّ الذّاتِ والصِّفاتِ

لَمّا كان استواءُ الملك على عرشه رمزًا لانفراده بالتّدبير، ومظهرًا لاستقلاله بالحكم والأمر، وإحاطة قدرته وعلمه بسائر الخلق، وكان ذلك هو لبَّ الملك وجوهرَ سلطانِه؛ عبّر اللّهُ سبحانه عن هذا المقام الجليل بلفظ الاستواء؛ تنبيهًا على كمالِ عظمته، وإشارة إلى علوِّ ذاتِه وسموّ قهره وارتفاع شأنه، فقال جلّ في علاه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[1]. وقد أورده بصيغة المُضيِّ للإشارة إلى ثباته واستقراره والانتهاء إليه، وهو استواءٌ يليق بجلاله، لا يشبه استواء المخلوقين، يُعلِّم العقول بعظيم قدرته، ويهدي القلوب إلى إدراك جبروته، وفيه تقريعٌ للمشركين، فتزداد في نفوسِهم حسرة على ضلالهم في إشراك غيره في الألوهيّة[2].

دلالة تعدية ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ بـ﴿عَلَى﴾:

استواء الله تعالى على العرش علوٌّ يليق بجلالِهِ وعظمتِهِ

استعمال حرف الجرّ ﴿عَلَى﴾ مع فعل الاستواء دون (إلى) الدّالّ على الانتهاء[3] في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾؛ ليدلّ الاستواءُ على التّمكّن التّامّ، بما يليق بجلال الله وكمال سلطانه، وأنَّ المرادَ بالاستواءِ العلوُّ والارتفاعُ، بخلاف تعديةِ الفعلِ بـ (إلى)؛ فقد يُتوهَّمُ في الاستواءِ مَعْنى القصْدِ.

سرّ التّعبير بالعرش مع الاستواء:

إحاطة الله تعالى سُبحانَهُ بجميع المخلوقاتِ حكمةً وتدبيرًا

في التّعبير بالاستواء على العرش إيماءٌ إلى أنَّ المقصودَ هو علوٌّ خاصٌّ، وليس دلالةً على الملكِ؛ لأنَّ الله تعالى مالكٌ للعرشِ وغيرِهِ. وفي تخصيصِ العرشِ بالذِّكرِ - بعد دلالتِه على العلوِّ المطلَقِ - إشارة إلى إحاطة الله سبحانه بجميع الموجودات إحاطةَ تدبيرٍ وحكمة،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 257.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8ب/ 161، و: 27/ 364.
(3) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 459.

وبيان لعظيم سلطانه في تصريف شؤون الخلق، بدءًا من العرش؛ وهو مظهر عظمة الملك، وانتهاءً بما دونَهُ.

موقع جملة ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ممّا قبلها ودلالته:

الجملة من قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مستأنفةٌ لبيان إحاطة علم الله ﷻ بما خفي في الأرض وظهَر، وهي مسوقَةٌ لتفصيل ما أُجمِل في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢﴾ [الحديد: 2]، وبيانًا لمعنى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٣﴾ [الحديد: 3][1]، فالمرادُ تقريرُ عمومِ علمِه ﷻ، وتمثيل بعض مظاهرِه التي تدلّ على شموله لكلّ صغير وكبير، وغائب وحاضر، بما لا يبلغُه وهْمٌ، ولا يدركه نظَرٌ.

إحاطة العليم القادر بكلّ خفيّ وظاهر

دلالة التّعبير بالعلم في قوله: ﴿يَعۡلَمُ﴾ مادَّة وصيغة:

جاءَ التَّعبيرُ بالعلم دون غيره في قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ على طريقة اللَّفِّ والنَّشْرِ المرتَّبِ[2]، فبدأ بذِكْرِ العلم بما يدخل في الأرض، باعتباره أحدَ وجوهِ الإحاطة العلميّة المطلقة لله تعالى، فذِكْرُهُ فعلَ العلم مناسبٌ للمقام؛ تأكيدًا على صفة العلم المحيط بما يتّسق مع ما ختم به الآية السّابقة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٣﴾، وهو "تفصيل لبعضِ ما يحيط به علمُه من الأمور التي نيطَت بها مصالحُهم الدّنيويَّة والدّينيَّة؛ أي: يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدّفائن والأموات ونحوها"[3]. ولمّا كان العلم بما ورد في قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ ممّا يتّصف بالدّوام والتّجدّد والاستمرار[4]، ولا يَنْفَكُّ عن الحدوث والتّكرار؛ أتَى الفعلُ فيه مضارعًا؛ إيذانًا باستمرار تعلّق العلم الإلهيّ بهذه الأحوال المتقلّبة، ودلالة على

علمٌ لا يزول، وإحاطة تشمل كلّ دخول وخروج وصعود ونزولٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 364.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 364.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 121.
(4) القونوي، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 18/ 439.

إحاطة لا تنفَد، وعلمٍ لا ينقطع، ليوافق مقتضى الحال، ويطابق حكمةَ النّظم في سياق الإحاطة المطلقةِ.

دلالة التّعبير بالموصول ﴿مَا﴾ دون غيره من الموصولاتِ:

﴿مَا﴾ اسم موصول دالّ على العموم[1]، واستُعْمِلَتْ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ لأنَّ عِلْمَهُ تعالى محيطٌ بجميع ما ذُكِرَ، ممّا لا يخرُجُ عَن كائن يتنقّل أو يتحرّك في جنبات الأرض أو السّماء، فمَنْ أحاط علمُه بما يَلِجُ في الأرض، وما يَخْرُج منها؛ فإنَّه لا يخفى عليه ما يدبّ على ظهرها، وما يسعى فوقها، ومَن أحاط علمُه بما ينزل من السّماء وما يعرج فيها؛ فقد أحاط بالكائنات التي تَعْمُر الأجواء والفضاء؛ مِن مرئيّات وخفيّات، ويعلَمُ ما يَجْري من سَيْرِ الكواكب، ومقادير حركتها، ونظامها الدّقيق[2].

عـلـمُ الـعـليّ القدير لا يحدّه خفاءٌ ولا تحجبه أرضٌ ولا سماء

دلالة التّعبير بالفعل ﴿يَلِجُ﴾ مادّة وصيغة:

التّعبير بالولوج دون الدّخول في قوله تعالى: ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يتوفّر على دقّة اختيار هذا الفعل؛ فهو لا يقتصر على مجرّد الدّخول، بل يوحي بالسّلوك والانتشار في الأعماق، بما يدلُّ على إحاطته بكلّ ما يتّصل بالأرض من مخلوقات، فيدلّ على حقيقتها بدقَّة تامَّة، دون الحاجة إلى المجاز أو الكناية؛ لأنّها تحيط بجميع معاني الدّخول والامتزاج والاستقرار في الأرض، ممّا يجعلها أنسبَ لفظٍ لوصف هذه الحالِ الكونيَّة العظيمة[3].

علمُ اللهِ المحيطُ يُدْرِك الغيبَ كما يدرك الشّهادة

دلالة التّعبير بالأفعال المضارعة (﴿يَعْلَمُ﴾، ﴿يَلِجُ﴾، ﴿يَخْرُجُ﴾، ﴿يَنزِلُ﴾، ﴿يَعْرُجُ﴾):

في انتقاء الأفعال المضارعة ﴿يَعْلَمُ﴾ و﴿يَلِجُ﴾ و﴿يَخْرُجُ﴾ و﴿يَنزِلُ﴾

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 205.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 137.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 137 - 138.

حـركـةُ الـكـونِ مـسـتـمـرَّةٌ متجدِّدة:

و﴿يَعۡرُجُ﴾ أسلوب بليغ يصوّر حركةَ الكونِ المستمرّةَ، وذلك مؤذِنٌ بأنّ الله سبحانه قد أودع في السّماوات والأرض قوى متجدّدةً، تنبت وتنزل، تخرج وتعرج، في نسق دائم لا يعرف السّكون، حتّى يُطوى بساطُ الزّمان، ويبلغ الخَلْقُ أجلَه[1]. وفي ذكره الولوج والخروج والنّزول والعروج بيانٌ إلهيّ بإحاطة علمِهِ كُلَّ شيءٍ، فلا تخفى عليه خافية. فدلّ التّناسق بين الحركات الأربع على إحاطة العلم الرّبّانيّ بكلّ شاردة وواردة، وهو وصف موجز مؤذِنٌ بكمال علمِهِ سبحانه[2].

سرّ تكرار الموصول (ما) في الآية:

بـيـانُ سـعَـةِ الـعـلـم الإلـهـيّ المحيطِ بالظّاهر والخفيّ

في تَكرار (ما) الموصولة في الآية بيانٌ بليغ لتوكيد العلم الإلهيّ وإحاطته، وإيذان بالعموم والتّفصيل دون الاختصار والإجمال، فأراد تفصيل ﴿مَا يَلِجُ﴾ ﴿وَمَا يَخۡرُجُ﴾ ﴿وَمَا يَنزِلُ﴾ ﴿وَمَا يَعۡرُجُ﴾؛ إذ فصّل ما يلجُ في الأرض كالمطر والبذور والأموات، وما يخرج منها من النّبات والأحياء والكنوز، وما ينزل من السّماء من المطر والرّياح والثّلج والملائكة، وما يعرج فيها مِنَ الملائكة وأعمال العباد والأرواح[3]، فكان التّكرارُ مفتاحًا للكشف عن اتّساع المشهد، وشمول العلم الإلهيّ لكلّ ظاهرٍ وخفيّ.

سرّ تخصيص علم الله تعالى بما ذُكِر في الآية:

إحـاطـة الـعـلـيـمِ سُـبـحـانَـهُ بـالـكـائـنـاتِ دقيقها وجليلها

خصَّ اللّه سبحانه بالذّكر في سياق علمه المحيطِ ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ﴾ دون أن يذكر ما يدبّ على سطحها، كما خصّ ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ دون أن يصرّح بما يَسْبَحُ ويجول في أرجائها؛ لأنّ ما ذُكر أعمُّ وأخفى، ولا يخلو أن يشمل ما عداه؛ إذْ مَن يعلم دقائق ما يغيب في أعماق الأرض، ويخرج من

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 258.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 448.
(3) السمرقندي، بحر العلوم: 3/ 401.

أحشائها؛ فَهو أعلم بما يدبّ فوقها، ويزحَف على ظهرها، ومَن أحاط علمُه بما ينزل من السّماء وما يعرج فيها، فقد أحاط بما يَعْمُر الفضاءَ ويجوبُ الأجواء من الكائنات، دقيقِها وجليلِها، مرئيّها ومستورها، وبسَيْرِ الأفلاك ونظامها المحكم الذي لا يزيغ[1].

بلاغة التّعبير بالمطابقة بين الأفعال في الآية:

بين الولوج والخروج والنّزول والصّعود علم الله لا يحدّه حدود

في قوله تعالى: ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ فنّ من فنون البلاغة يدعى الطِّباقَ؛ إذ طابقَ بين فعل الولوج وفعل الخروج، وبين فعل النّزول وفعل العروج، في دلالة باهرة على إحاطة علمه تعالى بكلّ ما يختفي في الأرض، وما يعلو في السّماء؛ إذ لا تغيب عن علمه خافيةٌ، كما لا تخفى عليه جليَّة[2]. وإذا أَنْعَمْتَ النّظر في الأفعال الواردة في الآية الكريمة رأيتَ بينها تقابلًا بديعًا وتضادًّا دقيقًا، يُظْهِر سعةَ علمِه تعالى وشمولَه الذي لا يحدّه حدّ، ولا يُدانيه فهم ولا إدراك، فهو يعلم ما يدخل في الأرض ممّا تستقرّ به وتحتويه، ويعلم ما يخرج منها ممّا يفور أو ينبت أو ينبثق، ويعلم ما ينزل من السّماء من رزق أو قضاء، ويعلم ما يعرج فيها من أمر أو روح أو عمل، فجمع بذلك بين حركات متضادّة، واتجاهات متعاكسة؛ ليؤكّد أنّ علمه محيط بكلّ شيء، وهو سبحانه في كلّ ذلك مع خلقه بعلمه وإحاطته وقدرته وتدبيره، قائمٌ على شؤونهم في جميع أحوالهم[3].

بلاغة التّعبير بقيد ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مع الولوج:

في الأرض سرّ الولوج والخروج في علم الله المحيط

أوردَ التّعبير بقيد ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مع الولوج في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾؛ لأنّ الله تعالى يعلَمُ كلّ ما يدخل في الأرض وما يخرج منها، سواءٌ أكان ذلك من النّبات النّامي أو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 137.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 258.
(3) مجموعة مؤلفين، التفسير الوسيط: 9/ 1280 - 1281.

الأجزاء المتحلّلة من الأموات وغيرها، فلا يخفى عليه شيء، فإنّ الأماكن كلّها بالنّسبة إليه سواء في القرب والبعد، فلا بعد عند عظمته يمنع علمه، ولا قرب يزيد في إحاطته، فهو العليم الخبير الذي وسع علمُه كلَّ شيء[1].

سرّ تقديم الولوج على الخروج في الآية:

ولـوجٌ فخروجٌ: سـرّ الـتّرتـيـب في سُـنّة النّماء والظّهور

قُدّم الولوج على الخروج في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾؛ لأنّ سُنّة النّماء تبدأ بدخول البذرة إلى جوف الثّرى قبل أن تشقّ سبيلَها إلى العلاء بعد السّقاء[2]، فالغرس سابق على الإنبات، كما أنّ البذر مقدَّم على الثّمر، فكان التّرتيب هنا انعكاسًا دقيقًا لنظام الخلق، وسير الطّبيعة في أدقّ تجلّياتها.

بلاغة العطف بالواو بين الجمل في الآية دون غيرها من الحروف:

علم محيط بكلّ شـأنٍ، لا يحدّه سبق ولا علّة

في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ عُطفت الأفعال بالواو دون غيرها؛ لأنّ الواو تفيد مطلق الجمع[3] دون ترتيب زمنيّ، أو تقييد سببيّ، ممّا يدلّ على سعَةِ العلم الإلهيّ، وامتداده الشّامل في الأحوال كلّها دون تقيّد بتعاقب أو تعليل.

سرّ التّعبير بالخروج في قوله: ﴿يَخْرُجُ﴾ دون غيره:

خـــروجٌ مـن رَحِـــمِ الأرض بتقدير مُحكَمٍ، ومفارقة للمقرّ على سنن الـرّبّ الأكرم

التّعبير بالفعل ﴿يَخْرُجُ﴾ أبلغ ما يُعبِّر عن صلة الموجودات بالأرض؛ إذ هو يدلّ على مفارقة الشّيء لمقرّه الطّبيعي، ومبدئه الذي كان فيه، دلالةً حقيقية مطابقة لا مجاز فيها ولا كناية[4]، فيكشف بذلك عن حال الموجودات الأرضيَّة التي تَنْبَعِثُ من الأرض، وتنفَصِلُ عنها في نظام قَدَريٍّ دقيق، ولا يُغْني عن هذا اللّفظ غيرُه.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 258.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 25/ 191.
(3) الصعيدي، بغية الإيضاح: 1/ 105.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 137 - 138.

دلالة التّعبير بـ (مِنْ) في قوله: ﴿مِنْهَا﴾:

منها المبدأ وإليها المرجع، وبينهما سـرّ الخلق يتوسّع

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ ابتدائيَّة[1]، وفيها إشارة بليغةٌ إلى ابتدائيَّة كلّ ما ينبثق من الأرض؛ فكلّ نباتٍ وماء وكنز ومعادن، بل والحيوان نفسُه مخلوق من ترابها[2]، فتلك الأرضُ هي الأصل والمبدأ والمرجع، ومنها تنبثق الحياة بأسرارها، مؤكّدةً وحدةَ الخلق، وعُمْقَ صِلَتِه بمَصْدَرِهِ الأوّل.

دلالة التّعبير بـ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

نزولٌ مشرّف من علياء السّماء: مصدر البركة والعظمة

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يدلّ حرف الجرّ ﴿مِنَ﴾ على ابتداء الغاية المكانيَّة؛ أي: أنّ ما ينزل من السّماء يبتدِئُ نزولُه منها؛ أي: أنّ مبدأ النّزول ومصدره هو السّماء، كالمطر والملائكة والكتب والوحي وغير ذلك ممّا قدّره الله تعالى، فهو نزول مؤذِنٌ بالتّشريف والتّعظيم فضلًا عن فوائده لبني البشَر.

الغرض من تقديم متعلّق الأرض على متعلّق السّماء:

تقديمُ شؤون السّفول أنسَبُ لمقامِ إحاطة علمِهِ

لَمّا قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد يُتوهّم من ظاهرها بُعد ما في الأرض عن تدبيره تعالى لبُعدها حسًّا عن العرش، وكونها أسفل؛ فجاء ذِكْرُ ما يلج في الأرض وما يخرج منها مُقدَّمًا على ما في السّماء تنبيهًا على إحاطة علمِهِ كُلَّ ما في أجزاء الكونِ وأمكنَتِه، دانيه وقاصيه[3]، فكان تقديم شؤون الأرض أولى وأدلَّ على كمال الإحاطة.

دلالة ذكر النزول والعروج بعد أمر الولوج والخروج:

تجلّي الإحاطة الإلهيّة من الولوج في القرار إلى العروج في المدار

لَمّا ذَكَر فعل الولوج في الأرض والخروج منها في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾؛ أعقَبَهُ بذِكْرِ نظيره في جهة العلوّ؛ تنويهًا بعموم علمه وتدبيره، وإحاطة سلطانه بأقطار

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 9/ 191.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 279.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 258.

الملكوت[1]، فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾، فجمع بين أسفَلِ المراتب وأعلاها، دلالةً على أنّ علمه لا تحجبه طبقات، ولا يحجبه سُفول ولا درجات، بل الجميع في قبضته، وتحت قهره، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السّماء.

سرّ عدمِ عطْفِ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ على ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ في أفعال الولوج والخروج مع النّزول والعروج:

إحكامُ التّعبيرِ بين الولوج والنّزول، لا مجاز فيه ولا تحوير

لمّا أراد سبحانه بيانَ المعاني الموضوعةِ على جهة الحقيقة لا المجاز، وعلى وجه المطابقة لا الكناية؛ أفرد كلَّ جهة بذِكْرٍ مستقلٍّ، فخصّ الأرض بما يَلِج فيها ويخرج منها، والسَّماء بما ينزل منها ويعرج فيها، فلم يعطف السَّماء على الأرض في قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ولم يقل: (وما يلج في الأرض والسَّماء)[2]؛ إذ ليس المقصودُ جمعَ المحالّ جَمْعَ اختصار، بل تفصيلُ المقاصد تفصيلًا يُظهِر تمامَ الإحاطة، ويكشف عن اختصاص كلِّ جهة بخصائصِ أفعالِها، ليقع البيانُ مطابقًا لِما وُضعت له الألفاظ، دون مجازٍ يوهِم، أو كناية تُغمِض، فجاء التَّعبير على غاية من الدِّقَّة والبيان.

سرّ إفراد ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ هنا مع جَمْعِها في أوّل الآية:

إفرادٌ يحقّق كمالَ البيان وإحاطةَ النّفع لبني الإنسان على مدى الزّمان

أُفْرِد لفظُ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بعد أن جُمِعَتْ في مطلع الآية؛ لأنّ المراد يتحقّق بذِكْرِ المفرد، مع إفادة الجنس المستغرق لِما تحته؛ إذ المقصود ليس السَّماء بعينها، بل ما يَصْدُر عنها من آثار الرّحمة، وأسباب المصلحة، كالوحي والأمطار، والحرّ والبرد، وسائر ما يُجريه اللّهُ سبحانه من شؤون الخلق في معاشهم وأرزاقهم وأقدار أعمارهم[3]، فكان التّعبير بالإفراد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 258.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 137 - 138.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 258.

أبلغَ في الدّلالة، وأجمعَ لأنواع النّفع النّازل من العلوِّ. كما أنَّ في إفراد السّماء إشارةً إلى جهة العلوّ مطلقًا لا إلى طبقات أو أفلاك متعدّدة[1]، فالمقصود هنا ليس السّماء المخلوقة بحدودها وطباقها، بل العلوّ بوصفه مصدرًا لكلّ أمر إلهيّ قدريّ، ورحمة نازلة، ووحي مرسل، فجاء الإفراد ليُعظّم المقام، ويُجمل المرام.

سرّ التّعبير بالعروج في قوله: ﴿وَمَا يَعۡرُجُ﴾ دون الصّعود:

سرّ التّعبير بالعروج في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ دون الصّعود؛ لِما في العروج من دلالةٍ على الصّعود المصحوب بالارتقاء والاختفاء، فهو صعودٌ يُجاوز المَحْسوسَ إلى الغياب عن المُدْرَكات، وهو أبلغُ في تصوير ما يرتفع في طِباق السّماء من الأبخرة والأنوار والكواكب، وما يصعد من أعمال العباد، وسائر الأمور الغيبيَّة[2]. كما أنَّ التّعبير بالعروج يفيد الصّعود المتدرِّج والدّقيق، وهو يناسب ما ينطلق من الأرض إلى السّماء من أرواح وأعمال وأمطار متبخّرة، بخلاف الصّعود الذي قد يُفهم منه الحركة الفجائيّة أو القسريّة. كما أنَّ العروج يُشعر بالارتقاء المحكم المطَّلع على تفاصيل السّماوات، ممّا يبرز إحاطة علم الله تعالى بكلّ حركة في الكون، من أدنى الأرض إلى أعلى السّماء. كما أنَّه يوحي بصورة الفلك الدّائريّ، فالعروج إليه، والنّفوذُ من أقطاره لا يستقيم في خطوط مستقيمة صاعدة، بل يقتضي مساراتٍ متعرّجةً مُنْحَنِيَة[3]، تناسِبُ طبيعة الدّوران وحركة الأفلاك في مداراتها، فجاء اللّفظُ مطابقًا للهيئة الفلكيَّة إشارةً دقيقة إلى عظمة الخَلْقِ وبديع الصُّنْعِ.

العُروج بين الغيابِ والبروجِ صعودٌ بالمعنى لا بالمحسوس

دلالة تعديةِ فعل العُروج بالظّرفية (في) دون (إلى):

الأصل في العروج أن يُعَدَّى بحرف الجرّ (إلى) كقوله تعالى:

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 279.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 259.
(3) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 14/ 748.

﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [المعارج: 4]، لكنّه عدّاه بـ (في) في قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾؛ لتضمّنه معنى الاستقرار والانغماس[1]، وكأنّ العروج ليس بلوغًا حسب، بل دخولٌ في طِباق السّماء واستغراق في أجوائها، فالتّعبير بـ ﴿فِيهَاۖ﴾ دالّ على اختراقها والمضيّ من خلالها، ممّا يوحي باستمرار الارتقاء[2]، فكأنّه صعود يتغلغل في أجوائها، لا مجرّد قصدها من بعيد، فيكون في الآية تضمينٌ لفعل العروج مَعْنى الدُّخولِ والاستقرارِ.

عـروج نـافـذ في السّماوات

معنى الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ إمّا أن تكون للعطف، وفيها جمعٌ بين عموم المعيّة الإلهيّة، وخصوص العناية الرّبّانيّة، فجاء التّعبيرُ بالمعيّة عطفًا لمعنى خاصّ على معنى شامل[3]، إشعارًا بعظيم الاهتمام بالمؤمنين، حيث لا يقتصر على مجرّد العلم المحيط، بل يتجاوزه إلى الحفظ والرّعاية والقرب. كما أنَّ العطف في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ يؤيّد دلالةَ الجملة على الوعد والوعيد، والتّرغيب والتّرهيب؛ إذ إنّ إحاطةَ العليم بأحوال المكلّفين تستوجب الجزاءَ في دار القرار للمُحسنين، وفي دار البوار للمُسيئين[4].

من العِلْمِ إلى العنايةِ معيّةٌ تحيط وتحمي

ويجوزُ أن تكون الواوُ واوَ الحال، وجملة المعيّة - (هو معكم) - واقعة موقع الحال من الضّمير الكائن في ﴿يَعۡرُجُ﴾[5]، وهي تذييل مُحْكَمٌ وتقرير راسخ لِما سبقَها من ذِكْرِ الأفعال الصّادرة، كالولوج في الأرض والخروج منها، والنّزول من السّماء والعروج فيها[6]؛

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 200.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 25/ 191.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 364.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 439.
(5) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 486.
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 439.

إذِ المقصود الأسمى توكيدُ علمِه تعالى الشّامل بهذه الحركات والسّكنات، لا يغيب عنه شيءٌ من أمْرِ الكونِ.

سرّ التّعبير بالضّمير (هو) دون الاسم الأحسن (الله):

كفاية اللّفظ عن البيان وعظمة الـــذّات عـن العيان

سرّ الضّمير (هو) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ إيماءٌ إلى كمالِ الحضور الإلهيّ بلا حَصْرٍ ولا تحديد، فلم يُقيَّد بالاسم الأحسَنِ؛ ليَدُلَّ على أنّ ذاتَه سُبْحانَه أعمَقُ من أن تُحاط بها الأسماء، وأقربُ مِن أن تُسْتَدْعى بالإشارات؛ فالضَّمير (هو) كافٍ لتَعْظيمِ مَن لا يخفى.

بلاغة التّعبير بالمعيّة ﴿مَعَكُمْ﴾:

معيَّةُ اللهِ تعالى العـامَّـةُ تقتضي العلمَ والإحاطَةَ

المعيَّةُ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ معيَّةٌ حقيقيَّةٌ، ولكن ليس معناها أنَّه مختلطٌ بالخَلْقِ؛ فإنَّ هذا لا توجِبُهُ اللُّغَةُ، "وَهوَ خِلافُ ما أجْمَعَ عليه سَلَفُ الأُمَّةِ، وخِلافُ ما فَطَرَ اللّهُ عليه الخَلْقَ. بَل "القَمَرُ" آيَةٌ مِنْ آياتِ اللّه، مِنْ أصْغَرِ مَخْلوقاتِهِ، هوَ مَوْضوعٌ في السَّماءِ، وهوَ مَعَ المُسافِرِ وغَيْرِ المُسافِرِ أيْنَما كانَ"[1].

والمعيّةُ في هذه الآيةِ معيَّةٌ عامَّةٌ؛ تقتضي العلم والإحاطَةَ؛ بحيث لا يغيبُ عن علمه شيءٌ من أحوال الخلقِ وأفعالهم[2]، أينما حلّوا وارتحلوا.

دلالة الخِطاب في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾:

افـتـقـارُ الـعـبـادِ إلى داوم الرّقابةِ الرّبانيَّةِ

الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ موجَّه إلى الثّقلين من الإنس والجنّ؛ تنبيهًا على فاقَتِهم إلى التّهذيب والتّأديب بعلم اللّهِ المحيط، وقُدرته النّافذة، المترَتِّبَيْنِ على معيّته سبحانه[3]، فالخطاب يَحْمِلُ في طيّاته بيانَ الحاجة إلى دوام الرّقابة الرّبّانيّة، والتّعلّق بمن لا تخفى عليه خافية.

(1) ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ص: 83 - 84، ط، أضواء السلف.
(2) الماوردي، النكت والعيون 5/ 470، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم 8/ 204، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 364.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 259.

دِلالَةُ التّعبير بالظّرفيَّة ﴿أَيْنَ مَا﴾:

إحـاطَـةُ الله تعالى بأحوالِ العِباد جَميعًا أينَما كانوا

تعبيره تعالى بالظّرفيَّة في قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يُفيد شمولَ الإحاطة لمواضعهم وأحوالهم، دلالةً على أنّه سبحانه عالم بجميع شؤونهم، قادر عليهم في كلّ حين وموطِنٍ[1]، فعلمهُ سُبحانَهُ مطلَقٌ لا يحدّه مكان، وسلطانهُ نافذ لا يحجبه زمانٌ.

دلالة ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿أَيْنَ مَا﴾:

لا يخلو مِنْ عِلْمِ الله تعالى مكانٌ

﴿مَا﴾ في قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ صِلَةٌ يُرادُ بها تأكيدُ شموليَّة الحكم، واستيعابه جميعَ الأمكنة دون استثناء[2]، ففي أيّ مكان حللتُم، وأيّ موضع نزلتُم؛ فهو سبحانه محيط بكم لا يُفارِقُكُم عِلْمُهُ. وفي أيّة بقعة من الأرض إلّا وهو فيها مع عبادِهِ بعِلْمِه وقُدْرَتِه، ناظرًا إليهم، سميعًا لدعائِهِم.

دلالةُ التّعبير بفِعْلِ الكونِ ﴿كُنتُمْ﴾:

معيَّةٌ مطلقة، وبـكـلِّ حـالٍ محقَّقَة

عُبِّر بفعل الكَوْنِ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ دون غيره من أفعال الحضور أو الوجود؛ لِما فيه من دلالةٍ على الإحاطة الشّاملة بالحالِ والمكان والزّمان ثبوتًا واستمرارًا لا وجودًا عابرًا، وبهذا يُفهم أنّ معيّةَ اللّهِ العامَّةَ - التي تقتضي العلمَ - لا تختصُّ بمكان دونَ آخرَ، ولا تُحدّ بزمان مخصوصٍ، بل تشمل كلّ حال ظاهرًا أو باطنًا، سرًّا أو علنًا، فهي معيّةُ علم وإحاطة وسلطانٍ، لا تخفى عنهُ مَعها خافيَةٌ.

بلاغَةُ عَطْفِ قولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

بيانُ الكمالاتِ الإلهيَّةِ

اللّه جلَّت قدرته بصيرٌ بما يعملُهُ الخلقُ، فقد عُطفت هذه الجملةُ الكريمة على ما قبلها مع جواز الاستقلال؛ إيثارًا لبلاغة الرّبط، وإشعارًا باتّصال علمه تعالى بأحوال العبادِ حيثما كانوا، فجاء

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 259.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 364.

العطف ترجيحًا لجانب الإخبار عن هذه الصّفة العظيمة[1]، التي تَعمر اليقين في القلوب، وتذكّر العباد بمراقبة العليم البصير، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء. وعطفُها على ما تقدَّمها لِما بينهما من التَّوسُّط بين الكمالَيْن؛ لاتِّحادهما في الخبريَّة، ولِما بينَهما من التَّناسُب لفظًا ومعنًى، فأمّا في اللَّفْظ؛ فلاشتراكِهما في الاسميَّة، واتِّحادِ المسند إليه فيهما مِنْ جِهَة المعنى، وأمّا في المَعْنى؛ فاشتراكُهما في بيانِ كمالاتِ الله تعالى.

سرّ التّعبير بالاسم الأحسن (الله) مُظْهَرًا دون الإضمار:

عُبِّر بالاسم الأحسَنِ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مُظْهَرًا دون الإضمار؛ ليَعُمَّ بنوره كلّ سطر من أعمال العباد، ظاهرِها وخفيّها، جهرِها وسرّها، إشعارًا بأنّ علمه سبحانه لا يحدّه حدّ، وأنّ قدرته تطال كلّ فعل وقصد. فذِكْرُ الاسم الأعظم (الله) تنبيهٌ على إحاطة الذّات العليّة بجميع صفات الكمالِ والجلال والجمالِ[2].

إحاطَةُ الاسمِ الأحسَنِ (الله) بجميعِ أوصافِ الجَلال والجَمالِ والكمالِ

معنى الباء ودلالتُها في قوله: ﴿بِمَا﴾:

من معاني الباءِ في لسان العربِ دلالتُها على الإلصاق[3]، وهي هنا كذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فوُرودُها يأتي ليُبْرِزَ صورةً لعلم اللهِ بأفعالِنا، فكأنّ هذا العلم ملتصِقٌ بأعمالنا لا يفارقها، ملازم لها في كلّ حين ووقت[4]، فهي ليست مجرّد إحاطة عارضة، بل هي صفة دائمة لله تعالى؛ بصر نافذ مستمرّ، يُبْصِر أعمالَنا على الدّوام.

بصيرٌ بالعبادِ وأعمالهم على وجه الدّوامِ

سرّ التّعبير بـ(ما) في قوله: ﴿بِمَا﴾:

(ما) اسمٌ موصولٌ، وفي التّعبير به في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ

بَصَرٌ محيطٌ يُدْرِكُ القريبَ والبعيدَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 364.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 260.
(3) المبرد، المقتضب: 1/ 39.
(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّري: 11/ 329.

بَصِيرٌ﴾ إيماءٌ بليغ إلى سعة عِلْم الله تعالى وإحاطته، وهو يشي بعُموم لا يشذّ عنه شيء، وشمولٍ لا يَسْتَثْني كائنًا ولا حركةً، منبّهة أولئك الذين يَسْتَبْعِدون معيَّةَ المولى جلّ شأنُه، ويغفلون عن بصره النّافذ، بأنّه تعالى مطّلع على سائر أعمالهم، بصيرٌ بكلّ ما يجري في ملكه، فكيف يظنّ الظّانّ أنّ الله ليس معه، وعينه لا تغفل عنه طرفة عين[1].

الغرضُ مِن تقديمِ قولِهِ: ﴿بِمَا﴾ على ﴿بَصِيرٌ﴾:

إظهارٌ لِلعناية وتنبيهٌ للبَصائِر على سعةِ العلم والإحاطةِ

قُدّم الجارُّ والمجرورُ ﴿بِمَا﴾ على عامله في قوله تعالى: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، ولم يَرِد النَّظْمُ القرآنيُّ: (والله بصيرٌ بما تعملون)؛ لإثارة الانتباه، وتأكيد الإحاطة[2]، ففي هذا التّقديم إظهارٌ لمَناط العناية، وتوجيهٌ للبصائر نحوَ ما لا يخفى على العليمِ الخبيرِ.

سِرّ التّعبير بالعمَلِ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ مادّة وصيغَةً:

بصرُهُ بالأعمالِ تأكيدٌ للمُحاسَبَة، والمضارعيَّةُ تنبيهٌ على الاستمرارِ والدّوام

وَصَف اللّهُ سُبحانه نفسَه بأنّه بصيرٌ بِما يَعْمَل العبادُ؛ لأنَّ العملَ هو المظهر العمَليُّ للإنسانِ الذي يترتّب عليه الجزاء، فالبصر هنا دالٌّ عن الإحاطة التّامّة بالفعل ونتيجتِه، وهو أدلُّ على المحاسبَةِ من مجرّد العلم بالنّوايا التي قد لا تتحوّل إلى فعلٍ. وجاء التَّعبيرُ عنه بالفعل المضارع؛ لإفادَةِ التّجدّد والاستمرار[3]، وأنَّ العبادَ كُلَّما جدَّدوا عملًا؛ فإنَّ الله تعالى بصيرٌ بذلكَ كُلّه.

سرّ التّعبير بـ ﴿بَصِيرٌ﴾ دون (عليم):

بصر نافذ يكشف السَّرائر ويحيط بالظّواهرِ

اخْتير التّعبير بـ ﴿بَصِيرٌ﴾ دون (عليمٌ) على ما جرى به السّياق في الآية السّابقة؛ لأنّ البصير أدقّ ملاحظة وأعمق نفاذًا؛ إذ هو العالِم بدقائق الأمور وجليلِها[4]، يرى ظاهرَ الأفعال، وخفيّ النّوايا، ويحيط بالبواطنِ كما يُحيط بالظّواهرِ.

(1) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 14/ 749.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 260.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 261.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 261.

بلاغة الاتّفاق والاختلاف مع الآية (2) من سورة سبأ:

قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: 2]، وقال سُبحانَهُ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

التّناسق السّياقيّ في ختام الآيات بين سعة الرّحمة وشمول الإحاطة

يتجلّى الفرقُ البلاغيُّ والدّلاليّ بين الآيتين في أنّ آية سبأ خُتمت بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سبأ: 2]، بينما خُتمت آية الحديد بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، ولكلّ منهما مناسبةٌ دقيقة للسّياق، ففي آية سبأ لمّا كان ما يَلِج في الأرض ويخرج منها، وما ينزل من السّماء ويعرج فيها ممّا يشمل أعمالَ العباد من الكُفْرِ والعصيان؛ اقتضى المقامُ التّنبيهَ إلى سعة رحمة الله ومغفرته، فهو معَ عِلْمِه بهذه الأعمال لم يُعجّل العقوبةَ، بل رَحِمَ عبادَهُ وأمهلَهُمْ، ومَن تاب غفرَ له، فناسَبَ ختم الآية بصِفَتَي الرّحيم والغفور. أمّا آية الحديد؛ فقد سُبقت ببيان خَلْقِ السّماوات والأرض واستواء الله على العرش، ولمّا كان الملوك العظامُ مع سعَةِ مُلْكِهُم يغيبُ عنهم بعضُ شؤون مَمْلَكَتِهِم لبُعدها؛ جاء البيانُ بأنّ الله مع سعة ملكه مع عباده لا يغيبُ عنه شيء من أحوالهم، فخُتمت الآية بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾، ثمّ أتْبَعَ ذلك بإثبات عِلْمِهِ البصير بأعمالهم الظّاهرة والباطنة[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الولوج والدّخول:

الدّخول هو الانتقال من الخارج إلى الدّاخل[2]، أمّا الولوج فهو أخصّ منه؛ إذ يدلّ على دخولٍ في فجوة كثيفة، أو موضع غليظٍ

الدّخول عامّ، والولوج أخصّ

(1) سعد محمد، بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 793.
(2) الكفوي، الكليات، ص: 449.

يحجب الدّاخلَ ويحيطه ويستره، كالكهف أو ما غمُضَ من باطن الأرض[1]؛ فالولوج لا يقتصر على مجرّد الدّخول، بل يحمل دلالةً أعمقَ؛ لِما فيه من معنى الخفاءِ والاستتار، كاختفاء الماء في جوف الأرض، أو تَواري البذورِ في تُرْبَتِها، ومِن هنا تتجلّى دقّة التّعبير القرآنيِّ؛ إذ يُظْهِرُ الولوجُ سعةَ علم اللّه تعالى، الذي لا يخفى عليه مستَتِرٌ، ولا يغيب عنه خفيّ، كما لا يعزُب عنه ظاهرٌ ولا جليّ[2].

العروج والصّعود:

الصّعود مقصور على الارتفاع في المكان، والعروج مع صعود السّموّ والارتقاء

الفرق بين الصّعود والعروج: أنّ الصّعود مقصورٌ على الارتفاع في المكان، ولا يُسْتَعْمَل في غيره، يقال: صَعِدَ في السّلّم والدّرجة[3]، أمّا العروج؛ فهو صعودٌ مع صِفَتَي السّموّ والارتقاء[4]، ومعنى العروج في الآية: ما يصعَدُ إليه تعالى من الملائكةِ والأعمال[5]، والوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ جاء التّعبير بالعروج دون الصّعود؛ لِما يحمِلُه الأوّل من دلالةٍ أبلغَ وأرقى؛ إذ إنّ الصّعود يقتصر على مجرّد الارتفاع في المكان، دون أن يُفيد شيئًا من الكرامة، أمّا العروج فهو صعود مشفوع بالسّمو والارتقاء، يتضمّن معنى التّعظيم والتّكريم.

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ولج).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 258.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 314.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرج).
(5) العليمي، فتح الرحمن: 5/ 399.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59 : المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-648-68-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"